(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف:١٠٣-١١٠]

الشيخ: أحسنت

الحمد لله، هذه الآيات تضمَّنت الوعيد وعيد الكافرين، وأشقى الكافرين هم الذين قال الله فيهم {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ} أخسر هذه أفعل، أفعل تدل على زيادة الخسران أخسر الناس {هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} لأن الناس منهم الخاسر ومنهم الرابح {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر:١-٢]، كل إنسان خاسر إلا من استثنى الله {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [العصر:٣]، ولكن الخاسرون بعضهم أخسر من بعض ولهذا قال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ} نخبركم {بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، {ضَلَّ سَعْيُهُمْ} بطل سعيهم {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} عملهم باطل حابط وهم يظنون أنهم محسنون {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} وهذا ينطبق على، على الكفار على اليهود والنصارى وعلى أهل البدع {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا} نعوذ بالله من سوء العاقبة، هذا المصير، هذا المصير هو الخزي العظيم {إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} [آل عمران:١٩٢]، {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ} [التوبة:٦٣] ثم قال سبحانه في الفريق الثاني وهذا مر بنا في سورة الكهف، الوعد والوعيد {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا} [الكهف:٢٩]، فذكر الله في أول السورة وفي آخرها حال الفريقين ومصير الفريقين {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} آمنوا بالله ورسله وباليوم الآخر وعملوا الصالحات من فعل المأمورات وترك المنهيات {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} اقرأ الآية

القارئ: {كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ}

الشيخ: {كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} جنة الفردوس وجنات الفردوس هي أعلى درجات الجنة لهذا جاء في الحديث: (إذا سألْتُم اللهَ الجنَّةَ فاسألوهُ الفردوسَ فإنَّه أعلى الجنَّةِ وأوسطُ الجنَّةِ) {كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا} وكثيرا ما يذكر الله الخلود لأن هذا هو كمال النعيم، كمال النعيم بحصول الخلود والدوام في النعيم أما النعيم المنقطع فهذا نعيم زائل كنعيم الدنيا مهما نُعِّم الإنسان في هذه الدنيا فإذا ذكر الرحيل والموت صَغُر عنده هذا النعيم ولا يساوي شيئا لكنْ أكثر الناس لا يستحضر زوال هذه النعمة فنعيم الدنيا إما أن يزول عنه وهو حي أو هو يرحل ويتركه لغيره أما نعيم الجنة فهو كما قال الله في أول السورة {مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}، {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا} [الكهف:٢-٣]، هذا في أول السورة وهكذا جاء هذا الوعد في آخرها {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} لا يطلبون عنها تحوُّلا.

ثم قال تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} في هذه الآية أن الله تعالى يتكلم بكلمات كلمات لا حد لها، كلمات، وكلماته نوعان: كلمات كونية وكلمات شرعية وكلام الله خير الكلام وأفضل الكلام {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام:١١٥] فكلمات الله هي غاية في الصدق وغاية في العدل فهو تعالى أصدق الصادقين وهو أعدل العادلين وكلماته يبيّن الله يعني أنه لا نهاية لها بأنه لو كان البحر، لو كانت تُكتب بمداد {لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا}، {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} يعني وتُكتب به لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته، وجاء في الآية الأخرى في سورة لقمان أنه لو كان مع هذا البحر سبعة أبحر {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} [لقمان:٢٧]

وخُتمت السورة بذكر النبوة والرسالة {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} في هذا إثبات الرسالة فهو بشر وإن كان مثلهم لكن الله فضَّله بالوحي والكفار يطعنون على الرسل بأنهم بشر مثلهم يعني فلا فضل لهم عليهم لا، بل فضَّلهم الله بالرسالة {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} نعم يا مُحَمَّد.

(تفسير السعدي)

القارئ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله تعالى– في تفسير قول الله تعالى:

{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا}

الشيخ: أعوذ بالله

القارئ: الآيات، أي: قل يا مُحَمَّد، للناس –على وجه التحذير والإنذار–: هل أخبركم بأخسر الناس أعمالا على الإطلاق؟

الشيخ: أعوذ بالله

القارئ: {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أي: بطل واضمحل كل ما عملوه من عمل، يحسبون أنهم محسنون في صنعه، فكيف بأعمالهم التي يعلمون أنها باطلة، وأنها محادَّة لله ورسله ومعاداة؟ " فمن هم هؤلاء الذين خسرت أعمالهم، ف {خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الزمر:١٥]

{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ} أي: جحدوا الآيات القرآنية والآيات العيانية

الشيخ: أيش يقول؟ كفروا بآيات الله القرآنية؟

القارئ: والآيات العيانية

الشيخ: العيانية هي الآيات الكونية المشاهدة، المخلوقات في السماء والأرض

القارئ: الدالة على وجوب الإيمان به، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر.

{فَحَبِطَتْ} بسبب ذلك {أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} لأن الوزن فائدته، مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم لعدم شرطها، وهو الإيمان، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا} [طه:١١٢] لكن تُعَدُّ أعمالهم وتُحصَى، ويُقرَّرون بها، ويُخزون بها على رؤوس الأشهاد، ثم يُعذبون عليها، ولهذا قال: {ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ} أي: حبوط أعمالهم، وأنه لا يُقام لهم يوم القيامة، {وَزْنًا} لحقارتهم وخسَّتهم، بكفرهم بآيات الله، واتخاذهم آياته ورسله، هزوا يستهزئون بها، ويسخرون منها، مع أن الواجب في آيات الله ورسله، الإيمان التام بها، والتعظيم لها، والقيام بها أتم القيام، وهؤلاء عكسوا القضية، فانعكس أمرهم، وتعسوا،

وانتكسوا في العذاب. ولما بيَّن مآل الكافرين وأعمالهم، بيَّن أعمال المؤمنين ومآلهم فقال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}.

الشيخ: الله أكبر

القارئ: أي: إن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، وشمل هذا الوصف جميع الدين، عقائده، وأعماله، أصوله، وفروعه الظاهرة، والباطنة، فهؤلاء –على اختلاف طبقاتهم من الإيمان والعمل الصالح– لهم جنات الفردوس.

يُحتمل أن المراد بجنات الفردوس، أعلى الجنة، وأوسطها، وأفضلها، وأن هذا الثواب، لمن كمل فيه الإيمان والعمل الصالح، وهم الأنبياء والمقرَّبون.

ويُحتمَل أن يُراد بها، جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب، جميع طبقات أهل الإيمان، من المقرَّبين، والأبرار، والمقتصدين، كل بحسب حاله، وهذا أولى المعنيين لعمومه، ولذكر الجنة بلفظ الجمع المضاف إلى الفردوس، ولأن الفردوس يُطلق على البستان، المحتوي على الكرم، أو الأشجار الملتفَّة، وهذا صادق على جميع الجنة، فجنة الفردوس نزل، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي ضيافة أجلُّ وأكبر

الشيخ: الله أكبر، الله أكبر، أعوذ بالله، لا إله إلا الله، الله أكبر، سبحان الله، أقول عجبا لنا في هذه الدنيا، أقول نؤمن بهذا الوعد والوعيد ولا نقوم بما يقتضيه هذا الإيمان، الإيمان بالوعد والوعيد والجنة والنار يقتضي الجد الصادق والاجتهاد ومواصلة السير وحفظ الأوقات وحفظ الجوارح ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله

القارئ: وأي ضيافة أجلُّ وأكبر، وأعظم من هذه الضيافة، المحتوية على كل نعيم

الشيخ: الضيافة يفسِّر بها قوله {نُزُلًا}، النزل في اللغة العربية هو الضيافة ما يقدم للضيف، يقال له نزل ويقال له قِرَى، قرى الضيف ونزل الضيف، الله سمى الجنة نزلا كما سمى النار نزلا، نزل لأهل النار، الكفار نزلهم وضيافتهم جهنم {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ} [الصافات:٦٢]

القارئ: نعم، المحتوية على كل نعيم، للقلوب، والأرواح، والأبدان، وفيها ما تشتهيه الأنفس. وتلذ الأعين، من المنازل الأنيقة، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة. والطيور المغرِّدة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة

الشيخ: يا الله! يا الله!

القارئ: والمناظر الرائقة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة، وأعلى ذلك وأفضله وأجلُّه، التنعُّم بالقرب من الرحمن ونيل رضاه، الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرؤوف الرحيم، فلله تلك الضيافة، ما أجلُّها وأجملها

الشيخ: فلله

القارئ: فلله تلك الضيافة، ما أجلُّها وأجملُها، وأدومُها وأكملُها"

الشيخ: لا، كلها بالنصب، ما أجلَّها

القارئ: ما أجلَّها وأجملها، وأدومها وأكملها وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحد من الخلائق، أو تخطر على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علما حقيقيا يصل إلى قلوبهم، لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطَّعت أرواحهم من ألم الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحدانا، ولم يؤثروا عليها دنيا فانية، ولذات منغَّصة متلاشية

الشيخ: ولم يؤثروا عليها

القارئ: ولم يؤثروا عليها دنيا فانية

الشيخ: نعم

القارئ: ولذات منغَّصة متلاشية، ولم يفوِّتوا أوقاتا تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من النعيم من الحقب آلاف مؤلَّفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قلَّ، والإرادة نفذت فكان، ما كان، فلا حول ولا قوة

الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله

القارئ: فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقوله {خَالِدِينَ فِيهَا} هذا هو تمام النعيم، إن فيها النعيم الكامل، ومن تمامه أنه لا ينقطع {لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} أي: تحوُّلا ولا انتقالا لأنهم لا يرون إلا ما يعجبهم ويبهجهم، ويسرُّهم ويفرحهم، ولا يرون نعيما فوق ما هم فيه.

قال الله تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} الآية، أي: قل لهم مخبرا عن عظمة الباري، وسعة صفاته، وأنها لا يحيط العباد بشيء منها: {لَوْ كَانَ الْبَحْرُ} أي: هذه الأبحر الموجودة في العالم {مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} أي: وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البلدان والبراري، والبحار،

أقلام، {لَنَفِدَ الْبَحْرُ} وتكسَّرت الأقلام {قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي} وهذا شيء عظيم، لا يحيط به أحد.

وفي الآية الأخرى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان:٢٧] وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأذهان، لأن هذه الأشياء مخلوقة، وجميع المخلوقات، منقضية منتهية، وأما كلام الله، فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهى، فأي سعة وعظمة تصوَّرتها القلوب فلله فوق ذلك

الشيخ: فالله أو فلله

القارئ: فلله فوق ذلك

طالب: [...]

الشيخ: نعم فالله

القارئ: فلله

الشيخ: فالله يقولون الإخوان فالله

القارئ: الي [الذي] عندي فلله

الشيخ: لا، فالله، ..أيش الآية اقرأ الجملة من أولها

القارئ: فأي سعة وعظمة تصوَّرتها القلوب

الشيخ: نعم

القارئ: فالله فوق ذلك

الشيخ: تمام

القارئ: وهكذا سائر صفات الله تعالى، كعلمه، وحكمته، وقدرته، ورحمته، فلو جُمع علم الخلائق من الأولين والآخرين، أهل السموات وأهل الأرض، لكان بالنسبة إلى علم العظيم، أقل من نسبة عصفور وقع على حافة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته، ذلك بأن الله، له الصفات العظيمة الواسعة الكاملة، وأن إلى ربك المنتهى.

قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} الآية، أي: {قُلْ} يا مُحَمَّد للكفار وغيرهم: {إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} أي: لست بإله، ولا لي شركة في الملك، ولا علم بالغيب، ولا عندي خزائن الله، {إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} عبد من عبيد ربي، {يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} أي: فُضِّلت عليكم بالوحي، الذي يوحيه

الله إلي، الذي أجلُّه الإخبار لكم: {أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}، أي: لا شريك له، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة غيره، وأدعوكم إلى العمل الذي يقرّبكم منه، وينيلكم ثوابه، ويدفع عنكم عقابه. ولهذا قال: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} وهو الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب، {وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} أي: لا يرائي بعمله بل يعمله خالصًا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه، ونيل رضاه. آخر تفسير سورة الكهف، ولله الحمد. انتهى

الشيخ: أحسنت، بارك الله فيك، نعم، بعده.